الكتاب الجامع للفضائل

(٥)

فضل التوحيد

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضل التوحيد

تمهيد

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى. وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

أهمية التوحيد وفضله

١- التوحيد أول دعوة الرسل:

٢- التوحيد أعظم أركان الإسلام ومبانيه العظام:

٣- التوحيد أفضل ما يقدمه العبد من الأعمال:

٤- التوحيد أول ما يدخل به الإنسان في الإسلام، وهو آخر ما يخرج به من الدنيا:

٥- التوحيد يجلى الرب لقلب العبد:

٦- التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين:

٧- التوحيد أشرف العلوم:

٨- التوحيد يزكي القلوب والأرواح:

٩- التوحيد يحقق للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة;

١٠- التوحيد ملجأ لأعداء الله ولأوليائه:

١١- التوحيد سبب لقبول الأعمال:

١٢- التوحيد سبب للهداية في الدنيا والأمن في الآخرة:

١٣- التوحيد سبب للنصر والعزة في الدنيا والآخرة:

١٤- التوحيد يجعل صاحبه معصوم الدم والمال:

- الموحد خير وافدٍ على قومه:

١٥- كلمة التوحيد يفتح الله بها أعْيُنًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا:

١٦- التوحيد سبب لتفريج الكربات:

١٧- التوحيد يعود على صاحبه بالنفع في الدنيا والآخرة:

١٨- التوحيد يكفر الله به السيئات، ويغفر به الذنوب:

١٩- التوحيد سبيل لتحصيل الأجر العظيم والثواب الجزيل:

٢٠- التوحيد سبب للفوز بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

٢١- التوحيد يمنع من دخول النار:

٢٢- التوحيد يمنع الخلود في النار:

٢٣- التوحيد سبيل لدخول الجنة:

فضل التوحيد

مقدمة:

التوحيد هو حق الله على العبيد، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وبه كل كتاب نزل، وهو أصل الأصول، والطريق الموصل، وبه عُرفَ المعبود، وعُمِر الوجود، ولأجله أُعِدَّت الجنة والنار، وسُلَّ السيف البتار، وقُوتِلَ الكفار، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء، وعلمت العلماء، وقتل الشهداء، وهو أول مطلوب، وأعظم محبوب، وهو أشرف المقاصد، وأعذب الموارد، وأجل الأعمال، وأحسن الأقوال وهو أول الأبواب، وبداية الكتاب، وأعظم القضايا، وأهم الوصايا، وخير زاد، يحمله العباد، ليوم التناد، وهو قرة عيون الموحدين، وبهجة صدور العابدين، وهو غاية الآمال، وأنبل الخصال، بل هو أعظم الكفارات، وأرفع الدرجات، وأكبر الحسنات، وهو منشور الولاية، وتاج الرعاية، والبداية والنهاية، وهو الأكسير الذي إذا وُضع على جبال الخطايا ذابت، والسلاح الذي إذا حوربت به الأعداء هَابت " .

(مقامات عائض القرني صـ٤١)

–التوحيد له كتاب، وله قلم جذاب، ومداد جميل، وكاتب جليل، فكتابه الكون وما فيه، وقلمه قلبك النبيه، ومداده دمعك المترقرق، وكاتبه إيمانك المتدفق.

–التوحيد له رسالة أبدية، ودعوة سرمدية، ولأصحابه إلى مستقرهم ممر، وبعد مرورهم مستقر.

–التوحيد هو إفراد الباري بالألوهية والربوبية، ودعوته اتباع سيد البشرية، ورسول الإنسانية ﷺ، وممر أصحابه الصراط المستقيم، ومستقرهم جنات النعيم.

للتوحيد منبر، ومخبر، ومظهر، ومسك وعنبر، فمنبره القلب، إذا أَخْلَصَ للرب، ومخبره النيات الصالحات، ومظهره عمل بالأركان، وخدمة الديان، ومسكة الدعاء والأذكار، وعنبره التوبة والاستغفار.

– للتوحيد عيد وبستان، وحرس وسلطان، وسيف وميدان، فعينه النصوص الواضحة، وبستانه الأعمال الصالحة، وحرسه الخوف والرجاء وسلطانه واعظ الله في القلب صباح مساء، وسيفه الجهاد، وميدانه أعمال العباد.

– للتوحيد قُضاة وشهود، وأعلام وجنود، وحدود وقيود، فقُضاته الرسل الكرام، وشهوده العلماء الأعلام، وأعلامه شعائر الدين، وجنوده فيلق من الموحدين، وحدوده ما جاء بها الخبر، وصح به الأثر، وقيوده ما ورد من شروط للتوحيد المضبوط. (عذب الأمواه للشيخ سيد بن حسين العفاني –حفظه الله– صـ١٨٨)

قال أبو معاذ الرازي- رحمه الله-:

"لو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار، وخطبت الأطيار، لقالت: لا إله الا الله الملك القهار، ولما قال فرعون اللعين: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى" قَالَ:" رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فكأنه لكمه بالجواب، ولطمه بالخطاب.

ولما قال إمام التوحيد للنمرود العنيد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ بهت وكذب، وخسر وعُذِّب. وهذا لظهور آيات التوحيد وقوة سلطانه، وعزة أهله وأعوانه، وقد صبغ يحيى بن زكريا التوحيد بدمائه، ومزج حمزة التوحيد بأشلائه. ولما ذاقه جعفر، تقطع وبالرمل تعفر، وذبح الخلفاء على بساطه، وضرب الأئمة على التوحيد بأيدي الظلم وسياطه، ونحر الشهداء على فراش التوحيد وبلاطه، وكم من موحدٍ وُضِعَ في الزنزانة، لما أعلن إيمانه.

ولما نطق حبيب بن زيد بكلمة التوحيد، عند مسيلمة الكذاب العنيد، قَطَّعَه بالسيف فما أَنَّ، ولا قال له تأنَّ، بل اشتاق إلى الجنة وحَنَّ

ولما ذهبوا بعبد الله بن حُذافة إلى القدور، والجثث فيها تدور، والتوحيد في قلبه يمور، بكى وقال:

"يا ليت لي بعدد شعر رأسي أرواحاً، لتذوق في سبيل الله سيوفاً ورماحاً "

وضُرِبَ طلحة يوم أُحُدٍ بالسيوف والرماح، فما شكى ولا صاح، حتى سال بالدم جبينه، وشلت يمينه، وثبت دينه، لأن التوحيد قرينه.

وقاتل مصعب قِتَالَ الأسود، حتى وسد اللحود، لأنه وحد المعبود واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء، في الليلة الظلماء، في ذروة الشتاء، يتوضأ بالماء، ويقطع الليل بالصلاة والدعاء، والمناجاة والبكاء.

وحرارة التوحيد أيقظت في الصالحين ذكرَ الله كل حين، فلهم بالتسبيح زجل وحنين، وعزيمة التوحيد دفعت المنفقين، وجعلتهم بأموالهم متصدقين على الفقراء والمساكين، إذا ناداك نوح التوحيد، وقال: اركب معنا أيها العبد الرشيد، فلا تفوتك سفينة الحميد المجيد، أهـ

وجد إبراهيم بن أدهم ورقة مكتوب فيها لفظ الجلالة (الله)، وقد سقطت في الطريق فبكى وحملها، وطهرها وطيبها، فطهر الله نفسه. وطيب اسمه. وقد أوصى النبي ﷺ لمعاذ بن جبل أن يكون أول ما يدعو إليه توحيد الله ﷻ وكان يبدأ بالتوحيد خطبه، ويخط به كتب، ويدعو إليه ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا. (عذب الأمواه للعفاني -حفظه الله- ص١٨٩-١٩١)

وإخلاص التوحيد، ونبذ الشرك من الأمور المهمة، بل هي أهم الأمور، وقد أُفردت لها المجلدات، وتناولها العلماء بالشرح والتحليل، ولا يتسع المقام هنا للكلام عن هذا الموضوع المهم، إنما هذه فقط إشارات لبيان أهمية الأمر.

فالله تعالى خلق العباد ليعرفوه وبالعبادة يُفردُوه، فلا إله غيره ولا معبود بحقٍ سواه، فالله تعالى لم يَخْلُق الخلقَ سُدى ولم يتركهم هملًا، بل خلقهم لغاية أجْمَلَها في **قوله تعالى** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام :١٦٢-١٦٣)

وليس للإنسان أن يشرك مع الله غيره، فالأدلة العقلية والنقلية والفطرية والحسية تدل على وحدانية الله تعالى، ولقد شهد الله تعالى لنفسه بذلك، وشهد له بذلك ملائكته الكرام البررة، وكذلك شهد أهل العلم لربهم بالوحدانية.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران :١٨)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه:٩٨)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه :٨)

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (غافر:٦٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة :١٦٣)

والآيات في القرآن والتي تدل على وحدانية الله تعالى كثيرة

وأخذ الله العهود والمواثيق على الأمم أن لا يعبدوا إلا إياه:

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة: ٨٣)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(الأعراف:١٧٢-١٧٣)

وأمر الله بالتبرؤ من كل معبود سواه:

وقال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام :١٩)

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (الممتحنة: ٤)

ونهى الله عن اتخاذ آلهة معه وحذر من ذلك تحذيراً شديداً:

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة :٧٢)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

(المؤمنون: ١١٧)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (النحل: ٥١)

وما ذُكِرَ من أدلة على وحدانية الله تعالى غيض من فيض وقليل من كثير، والناظر إلى الآيات القرآنية والآيات الكونية يرى أنها تنطق بوحدانية الله تعالى.

فيا عجبـــاً كيف يُعصَى الإلــهُ ... أم كيف يجحــدُه الجاحـدُ

وفي كـــــل شيءٍ له آيـــــةٌ ... تـــدل على أنـــه واحـــد

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع والحديث عن فضل التوحيد

فالتوحيد له فضائل كثيرة، وثمرات عظيمة، وآثار حميدة

١ - التوحيد أول دعوة الرسل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في كتابه " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة صـ١٦ "

والتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب كما **قال تعالى:** ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف:٤٥)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء :٢٥) وقد ذكر الله تعالى أن كل رسول كان يفتتح دعوته بأن يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود:٥٠). أهـ

فها هو نوح -عليه السلام- قال عن رب العالمين ﷻ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . . . ﴾ (الأعراف:٥٩)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف :٦٥)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف :٧٣)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف:٨٥)

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)

فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له **كما قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل :٣٦)

يقول ابن أبي العز – رحمه الله – في" شرحه على الطحاوية: ١/٥٩":

" واعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم به السالك إلى الله... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله.... " . أهـ باختصار

قال ابن كثير– رحمه الله– في تفسير قوله تعالى ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (آل عمران :٦٤) لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا، بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، **قال تعالى:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء :٢٥)

(تفسير ابن كثير– رحمه الله–: ١/٣٧٩)

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي والنسائي وابن خزيمة واللفظ له من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، و يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى قال: إن الله أمرك بخمسِ كلماتٍ أنْ تعملَ بهنَّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فأما أن تخبرهم، وإما أن أخبرهم، فقال له: يا أخي! لا تفعل فإني أخاف أن تسبقني بهن أن يُخْسَف بي، أو أعذبَ. قال: فجمع بنى إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأَ المسجدُ وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم فقال: إن الله أوحى إليّ بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، أولهن: أن لا تشركوا بالله شيئاً، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، ثم أسكنه دارًا. فقال: اعمل وارفع إليَّ فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يُقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك، كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم، وجعل يُعْطِي القليل والكثير حتى فدى نفسه، وأمركم بذكر الله كثيراً ومثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله".**

(صحيح الجامع: ١٧٢٤) (صحيح الترغيب: ٥٥٢)

وأخرج الإمام مسلم: عن عمرو بن عَبَسَة السُّلَمِّي ﷺ قال:

كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله مستخفياً جرآء[1] عليه قومه ؛ فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال " أنا نبي" فقلت: وما نبي؟ قال: " أرسلني الله" فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: " أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء ..... ". *الحديث.*

قال الطبري – رحمه الله – في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨) يقول ﷻ ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿ قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَذِهِ﴾ الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِي﴾ وطريقتي ودعوتي﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ وحدة لا شريك له"

(تفسير الطبري: ٥٢/١٣)

يقول فضيلة الشيخ الفوزان– رحمه الله – في شرحه على كتاب التوحيد: "إعانة المستفيد صـ٩٩"

فكل رسول أول ما يبدأ الدعوة، يبدأ بشهادة أن لا إله إلا الله، فيدعو إلى التوحيد، وإلى تصحيح العقيدة، ثم بعد ذلك يأمرهم ببقية أوامر الدين، فلو فرضنا أن المجتمع صار بعيداً عن الربا، ويحافظ على الصلاة، وتمتلئ المساجد، وكل الأعمال تعمل، لكن ليس هناك إخلاص في التوحيد، فهم يدعون غير الله، يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين والمقبورين.... فلا فائدة في أعمالهم.... ". أهـ

ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: ١٩)

فهي أول واجب على الإنسان معرفته ومعنى الآية: اعلم يا محمد أنه لا معبود بحق إلا الله.

فإفراد الله تعالى بالعبادة ونفيها عمن سواه هو حقيقة التوحيد، وهو معنى" **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** "وهي أول دعوة الرسل.

[1]- جرآء: جمع جريء مثل برآء، والمراد: أنهم يتجرؤون على إيذائه

ومما يدل على أن التوحيد هو أول ما كان يدعو إليه النبي ﷺ أنَّه عندما أرسل معاذ بن جبل ﷺ إلى أهل اليمن أمره أن يدعوهم أولاً إلى توحيد الله – تعالى– .

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس– رضى الله عنهما– قال:

لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن، قال له: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ".

وفي رواية عند البخاري " فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله " *وفي رواية* " أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ".

٢- التوحيد أعظم أركان الإسلام ومبانيه العظام:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر– رضى الله عنهما– قال:

" بُني الإسلام على خمسة على أن يُوَحَدَ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج".

فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا: صيام رمضان، والحج " هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

٣- التوحيد أفضل ما يقدمه العبد من الأعمال:

–فقد أخرج الإمام أحمد عن ماعز التميمي ﷺ عن النبي ﷺ: أنه سُئِلَ أي الأعمال أفضل ؟.قال: " إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها ".

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن رجل من خثعم قال: قال رسول الله ﷺ: " أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم ". (صحيح الجامع: ١٦٦)

٤- التوحيد أول ما يدخل به الإنسان في الإسلام، وهو آخر ما يخرج به من الدنيا:

يقول ابن القيم- رحمه الله-كما في "مدارج السالكين:٣/٤٨٢"

فالتوحيد أول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، ***كما قال النبي*** ﷺ: " **من كان آخر كلامه لا إله الا الله، دخل الجنة**". (رواه أبو داود بسند صحيح)

فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره ". أهـ

٥- التوحيد يجلي الرب لقلب العبد:

يقول ابن القيم رحمه الله- في كتابه "الفوائد صـ٣٦-٣٨ ":

" تأمل الخطاب القرآني تجد ملكًا له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، مستويًا على سرير ملكه لا تخفي عليه خافيه في أقطار مملكته، عالمًا بما في نفوس عبيده مُطَّلِعًا على أسرارهم وعلانيتهم، منفردًا بتدبير المملكة، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق ويميت ويحيي، ويقر ويقضي ويدبر، الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

يثني على أوليائِه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم، يقول الحق ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها،... ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنَّه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته،.... فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكًا عظيمًا رحيمًا جودًا جميلًا هذا شأنه، فكيف لا تحبه، وتتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل من سواه.

وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق إليه والأُنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث إن فَقَدَتْ ذلك فَسَدَتْ وهلكتْ ولم تنتفع بحياتها. أهـ بتصرف واختصار.

٦- التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين:

الإنسان منا لا يستقيم حاله ولا يطمئن قلبه إلا إذا أوى إلى مولاه وطرح نفسه على عتبته، وأخلص في العبودية له، وهذه العبودية والإخلاص فيها هي أرقى مراتب الحرية، لأن العبد إذا وحد الله ﷻ وتذلل له، فإنّه يتحرر من كل سلطان، فلا يتوجه بقلبه، ولا يطأطئ رأسه إلا لخالقه سبحانه. فالإنسان ما هو إلا عبد شاء أم أَبىَ، فإن لم يكن عبداً لله ﷻ، فسيتلطخ بالعبودية لغير الله.

-فإما أن يكون عبداً لهواه، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان:٤٣)

-أو عبداً للدرهم والدينار –***كما جاء في رواية البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:***

" تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة[1]، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش".

-أو يكون عبداً للدنيا، كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢)

-أو يكون عبداً للشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠)

-أو يستعبده مخلوق مثله ويطيعه ولو في معصية الله

قال القرطبي – رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (أل عمران :٦٤)

أي: لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله ﷻ، وهو نظير **قوله تعالى** ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة ٣١) معناه: أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحليلهم وتحريمهم لِمَا لم يُحلِّلْهُ الله ﷻ ولم يحرمه ". (تفسير القرطبي: ١٠٦/٤)

وقال- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)

قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء (تفسير القرطبي: ٨ /١٢٠)

وسئل حذيفة ﷺ عن قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) **هل عبدوهم؟**

فقال: لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه ". (تفسير القرطبي: ١٢٠/٨)

وصدق القائل حيث قال:

أنت القتيلُ بكــلِ مــن أحببته فاختر لنفسك في الهوى مَنْ تصطفي

[1]- الخميصة: ثياب خز أو صوف معلم

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (الجاثية:١٣)

فالله ﷻ سخر الكون كله من أجل الإنسان، وما دام الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلم أن يخضع لهذه المخلوقات ولن يقصدها فهي مخلوقة من أجله، فالذين يرفضون عبادة الله والخضوع والتذلل له، فإنهم يهينون أنفسهم بتعبيدها لمخلوقات أقل من الإنسان شأناً.

وما أحلى أن يستفتح المسلم صلاته بهذه الكلمة المدوية المجلجلة " **الله أكبر** " كلمة تحطم كل صنم يعكف على عبادته، مهما كان هذا الصنم (دنيا – زوجة – أولاد – مال.....).

وما أجمل أن يناجي العبد ربه ﷻ **بقوله**﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهو لا يعبد غير الله ﷻ ولا يستعين إلا به، وهذا من أعظم أسباب تحرير العبد من عبودية غير الله ﷻ.

– لخص أبو بكر كل هذا بقوله عند موت النبي ﷺ:"**من كان يعبد محمداً، فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت** ".

- ***فالتوحيد يخلص العبد من رق العبودية لغير الله ﷻ:***

كما جاء **قوله تعالى** ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠) فمن صح فراره وتوحيده لله تحرر من عبودية سواه.

قال بشر الحافي –رحمه الله–: من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية لغير الله، فليطهر السريرة بينه وبين الله ﷻ ". (الرسالة القشيرية صـ١٣١١)

وقال سعدون المجنون لذي النون:

متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً؟ فقال ذو النون: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يرى في الضمير غيره، لأنه الجليل العزيز " (تهذيب الحلية: ٢٣٢/٣)

وقال المناوي– رحمه الله– عن المخلصين:

لما أخلصوا في المراقبة ونسيان كل الحظوظ كلها، وقطعوا النظر والقصد عما سوى معبودهم لم يكن لغيره عليهم سلطان، بل هم منه في حماية وأمان " (فيض القدير: ٤ / ٢٧٤)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–:

" وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله ﷻ، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله ﷻ إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله ". (مجموع الفتاوى: ٣٢/٢٨)

ومما يدل على أن التوحيد يحرر العبد من رق العبودية للمخلوقين

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) فالمؤمن عزيز، والعزة أعلى درجات الحرية.

٧- التوحيد أشرف العلوم:

يقول ابن القيم رحمه الله- في كتابه" الفوائد صـ ٩٧":

" شرف العلم بحسب شرف معلومه، وشدة الحاجة إليه، وليس ذلك إلا العلم بالله، وتوابع ذلك ". أهـ

ويقول ابن القيم أيضاً في كتابه "مفتاح دار السعادة: ١/ ٣١١":

مبيناً شرف التوحيد ومدى أهميته " شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات". اهـ باختصار....

٨- التوحيد يزكي القلوب والأرواح:

يقول ابن القيم – رحمه الله – في كتابه "إغاثة اللهفان: ١/ ٤٩":

" أصل ما تزكو به القلوب والأرواح: هو التوحيد، والتزكية جعل الشيء زكيًا، إمّا في ذاته، وإمّا في الاعتقاد والخبر عنه، وزكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، **قال تعالى:** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٢١) ذكر ذلك ﷻ عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك. **وكذلك قوله تعالى في الاستئذان على أهل البيوت** ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ (النور:٢٨) فإنهم إذا أُمِرُوا بالرجوع لئلا يطلعوا على عورة لم يحب صاحب المنزل أن يُطَّلَعَ عليها كان ذلك أزكى لهم، كما أن رد البصر وغضه أزكى لصاحبه. **وقال تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الأعلى: ٩-١٠) **وقال تعالى:** عن موسى في خاطبه لفرعون ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ (النازعات :١٨) **قال تعالى:** ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت :٦-٧)

وقد قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: أن الزكاة هنا هي التوحيد: شهادة أن لا إلا الله وبالإيمان الذي به يزكو القلب وهذا يتضمن نفي إلاهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلاهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي- وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة، فإنه إنما يحصل بإزالة الشر، وبهذا التزكي ينتظم الأمرين جميعاً. أهـ بتصرف

٩- التوحيد يحقق للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد الدِّيلِيِّ ﷺ قال: رأيت رسول ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: " يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ".

يقول ابن القيم- رحمه الله-في كتابه "الصواعق المرسلة: ١/٣٦٦":

" ومعلوم أن حاجة العباد على معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم –جل جلاله–فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم، ولا فلاح، ولا صلاح، ولا نعيم، إلا بأن يعرفوه، ويعبدوه ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه، قرة عيونهم، وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيب عيشاً منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الأجل. أهـ

ويقول ابن القيم أيضاً في كتابه "الفوائد صـ٢٦":

للإنسان قوتان " قوة علمية نظرية، وقوة عملية إرادية، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه العلمية والإرادية، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التي توصل إليه، معرفة آفاتها ومعرفة نفسه: ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية...". أهـ باختصار

١٠- التوحيد ملجأ لأعداء الله ولأوليائه:

يقول ابن القيم- رحمه الله- في كتابه" الفوائد صـ١٦":

"التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه:" فأما أعدائه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، قال تعالى: عنهم ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت :٦٥) وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزِعَ إليه يونس عليه السلام فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون، عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق، لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سنة الله في عباده فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجى منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها ". أهـ

١١ - التوحيد سبب لقبول الأعمال:

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك :٢)

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله-:

وقوله " أحسن عملاً " أي: أخلصه وأصوبه، فقيل له: ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)

وهذا موافق لقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء: ١١٥)

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقصد به الإخلاص ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي متابع للسنة

قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان: لِمَ؟ وكيف؟

أي لم فعلت؟ وكيف فعلت، لم: سؤال عن الإخلاص، يعنى: هل فعلت هذا الفعل خالصًا لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك، كيف: سؤال عن متابعة الرسول ﷺ.

قال ابن القيم- رحمه الله- كما في كتابه الفوائد:

العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى ما سوى الله ورسوله. اهـ بتصرف.

فبالتوحيد وتصحيح النية تتحقق صحة الباطن، وبموافقة الحبيب النبي ﷺ تتحقق صحة الظاهر وإذا تخلف أحد هذين الركنين فالعمل مردود على صاحبه، كما **قال تعالى:** ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣) وهي الأعمال التي كانت على غير السنة أو أريد بها غير وجه الله.

ومما يدل على أن التوحيد سبب لقبول الأعمال:

قوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر :٦٥)

ومفهوم المخالفة للآية أن من لم يشرك بالله شيئاً قبل عمله، وسلم من الحبوط.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ :

" أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه "

-وأخرج النسائي من حديث أبي أمامة ﷺ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:

" أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه".

١٢ - التوحيد سبب للهداية في الدنيا والأمن في الأخرة:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨١-٨٢)

﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾: في الآخرة، وهم مهتدون: في الدنيا، ومن جمع الله له الهداية في الدنيا والأمن في الآخرة، فقد جمع بين خيري الدنيا والآخرة، فليس في الدنيا أنفع من أن تكون على هدى، ولذا كان أنفع دعاء هو ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ ونحن ندعو بهذا في كل ركعة من الصلوات وليس في الآخرة أنفع من أن تكون آمنًا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والظلم المقصود في قوله تعالى ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ هو الشرك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ شق ذلك على المسلمين، وقالوا أيُّنا لم يظلم نفسه: فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك، إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان وهو يعظه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** (لقمان :١٣)

يقول ابن القيم- رحمه الله-: في كتابه" الفوائد صـ ١٨٨":

والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الأخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر، وظلمة القلب وثمرها في الأخرة الزقوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله تعالى هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم. أهـ

١٣ - التوحيد سبب للنصر والعزة في الدنيا والأخرة:

فقد تكفل الله لأهل التوحيد الخالص بالنصر والعزة والتمكين في الدنيا والآخرة،

قال تعالى: ﴿ أنا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر:٥١)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٩)

١٤ - التوحيد يجعل صاحبه معصوم الدم والمال:

فقد أخرج الإمام مسلم وأحمد واللفظ له عن أبي مالك عن أبيه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" من وحد الله ﷻ وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ" .

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه ومالـه، إلا بحقه وحِسَابُه على الله".

وأخرج الإمام مسلم من حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال:

"بعث رسول الله ﷺ بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله. وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحَدَّثُ أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله. فجاء البشير إلى النبي ﷺ فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله، فقال: " لم قتلته؟" قال: يا رسول الله أوجع[١] في المسلمين وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفراً، وإنِّي حملت عليه، فلما رأى السيف قال "لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ "أقتلته؟" قال: نعم " فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتْ يومَ القيامة؟ قال يا رسول الله استغفر لي. قال: " وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ " قال فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ "

***وأخرج الإمام مسلم عن أسامة بن زيد –رضى الله عنهما– قال:* بعثنا رسول الله ﷺ في سريةٍ فصبحنا الحرقات[٢] من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك ،فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "أقال: لا إله إلا الله وقتلتَه؟" قال: قلتُ: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: " أفلا شققتَ عن قلبه[٣] حتى تعلم أقالها أم لا ؟" فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ.**

١- **أوجع في** المسلمين: **أي** أوقع بهم وآلمهم.
٢- **فصبحنا الحرقات: أي** أتيناهم صباحاً، **والحرقات:** موضع ببلاد جهينة.
٣- أفلا شققت عن قلبه: **معناه:** إنما كلفت بالعمل الظاهر وما ينطق به **اللسان**، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، **فأنكر** عليه امتناعه من العمل بما ظهر **باللسان**.

١٥ - الموحد خير وافدٍ على قومه:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث ابن عباس- رضى الله عنهما- أنه قال: "...فخرج ضِمام حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مه يا ضمام، اتق البَرَصَ والجُذَام، اتق الجنون، قال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله ﷻ قد بعث رسولًا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضِرِه رجل ولا امرأة إلا مسلمًا، قال ابن عباس -رضى الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة".

١٦ - كلمة التوحيد يفتح الله بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا:

فقد أخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – فقلت: أخبرني عن صفة رسول ﷺ لم في التوراة، قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أنا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٥) وقال: في التوراة: يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ونذيرا وحرزًا للأميين[١] أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا سخاب بالأسواق[٢]، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًا، وقلوبًا غُلفًا".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في فتح الباري: ٨/٤٥١: "فيفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًا، وقلوبًا غُلفًا" أي بكلمة التوحيد

١- حرزاً للأميين: أي حافظاً، وأصل الحرز: الموضع الحصين

٢- ولاسخاب في الأسواق: السخب هو رفع الصوت بالخصام

١٧ - التوحيد سبب لتفريج الكربات:

-فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول:" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم "

-وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والأدب المفرد للبخاري من حديث أبي بكرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :" دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجوا، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ولا إله الا أنت " (صحيح الجامع: ٣٣٨٨)

ومما يدل على أن التوحيد سبب لتفريج الكربات، أن جعفر بن أبي طالب ﷺ لما صدع بكلمة الحق والتوحيد بين يدي النجاشي ولم يداهن، وحدثه عن النبي ﷺ فقال: " إنه دعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان....." الحديث.

وفيه أنّه قرأ عليه ما تيسر من سورة مريم وبين حقيقة مريم وابنها فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته وفَرَّجَ الله عن أصحاب النبي ﷺ.

والحديث بطُوله في مسند الإمام أحمد عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت:

" لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهه، فلما بلغ قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين[1]، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة. ثم إنهما قربا هدايا مما يستطرف من متاع مكة. ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي، فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك أنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقتُهُ حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قال: فغضب النجاشي ثم قال: لا هَا اللهِ أيْمُ اللهِ، إذاً لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قوماً جاوروني نزلوا بلادي واختاروني على من

[1]- جلدين: مثنى جلد وهو الرجل القوى في نفسه وجسده.

سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟قالوا : نقول: والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له : أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعدَّد عليه أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا، واتَّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي :هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال جعفر: نعم

فقال النجاشي: فاقرأه علىّ ، فقرأ صدراً من "كهيعص"، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلاقا، فوالله لا أُسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد..."

(صححه الألباني في فقه السيرة صـ ١٥)

١٨ - التوحيد يعود على صاحبه بالنفع في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ"**أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين عظيمين، سمينين أقرنين[١]، أملحين[٢]، موجوءين[٣] فذبح أحدهما عن أمته لمن شهد لله بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد** ﷺ زاد في رواية أحمد عن أبي رافع قال: **فكأن رسول الله ﷺ قد كفانا"**

(والحديث في إسناده عبد الله بن محمد وهو مختلف فيه، له شاهد من حديث أنس في السنن الكبرى: ٦٦/٣)

التوحيد ينفع صاحبه يوم القيامة:

والأدلة على ذلك كثيرة كما سيأتي، أما أهل الشرك فلا تنفعهم أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا. ***فقد أخرج الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مئة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر حصته، خمسين بدنة، وأن عمرا سأل النبي*** ﷺ ***عن ذلك فقال:*** **" أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصُمتَ وتصدقت عنه نفعه ذلك "**

(قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح)

-*وأخرج الإمام مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت:* يا رسول الله! ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويُطعم المسكين، فهل ذلك نافعة؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين؟

بشرى.....النبي ﷺ يبشر كل من نطق بكلمة التوحيد وأسلم بعدَ كفرِه أن الله ﷻ لا يضيع عليه هذه الأعمال الصالحة التي كانوا يعملونها في حال الكفر

فقد أخرج البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام ﷺ ***قال :***

قلت: يا رسول الله: أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ**: أسلمت على ما أسلفت من خير.**

-*وأخرج البخاري معلقًا ووصله النسائي عن أبي سعيد الخدري* ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**: "إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له بكل حسنة أزلفها ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها".**

---

[١]- أقرنين: **والأقرن: ما** كان له قرنان معتدلان.
[٢]- **الأملح: ما** كان فيه بياض وسواد، وبياضه **أكثر**.
[٣]- موجوءين: **والموجوء:** هو الخصى أي نزع منه عرق الأنثيين، وذلك أسمن له.

١٩ - التوحيد يكفر الله به السيئات، ويغفر به الذنوب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ . . . . . ﴾ (النساء :٤٨)

-وأخرج الإمام مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال :أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا".

وأخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض[1] خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة ".

وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ :

يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة". (صحيح الجامع :٤٣٣٨) (الصحيحة:١٢٧)

قال ابن رجب- رحمه الله-:

" من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً وخشيةً وتوكلاً وحينئذ تحرق ذنوبه، وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، فإن هذا التوحيد هو الأكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات " . أهـ

[1]- قُراب الأرض: بضم القاف، وقلي بكسرها، والضم أشهر، والمقصود هو ملئ الأرض، أو ما يقارب ملأها " (أنظر تيسير العزيز الحميد ص٦٩)

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فلما احتضر قال لأهله: انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمماً، ثم اطحنوه، ثم اذْرُوه في يوم ريح، فلما مات فعلوا ذلك به فإذا هو في قبضة الله، فقال الله ﷻ يا بني آدم، ما حملك على ما فعلت ؟ قال: أي رب، من مخافتك، قال فغفر له بها ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد"

وفي مسند الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"من لقى الله ﷻ لا يشرك به شيئًا، ويصلي الخمس، ويصوم رمضان، غفر له"، قلت: أفلا أبشرهم يا رسول الله؟ قال: "دعهم يعملوا". (الصحيحة :١٣١)

وأخرج ابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سمرة عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"

ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن، إلا غفر الله لها " (الصحيحة: ٢٢٧٨)

وأخرج الإمام مسلم عن عمرو بن عبسة السُّلَمي ﷺ قال:

" كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا، جرآء[1]عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا نبى، فقلت: وما نبى؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَدَ الله لا يُشْرَكُ به شيء، ... الحديث "وفيه أنّه قال: فقلت: يا نبي الله، فالوضوء؟ حدثني عنه، قال: " ما منكم رجل يقرب وضوئه فيتمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه.. أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه مع أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهلٌ، وفرغ قلبه لله[2] إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه ".

---

[1]- جرآء: جمع جريء، مثل برآء، والمراد: أنهم يتجرؤون على إيذائه.

[2]- وفرغ قلبه لله: أي مما يشغله عن الصلاة، وليس في القلب سوى الله –عز وجل –

٢٠ - التوحيد سبيل لتحصيل الأجر العظيم والثواب الجزيل:

ومما يدل على شرف وفضل التوحيد أن الله ﷻ جعل الأجر الكبير والثواب العظيم لمن قرأ سورة الإخلاص وهي سورة تتحدث عن صفات الله ﷻ وتدل على توحيده وتقدسيه.

قال ابن تيمية- رحمه الله- :

" إن التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ قولي وعملي، فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والتوحيد العملي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطواف. أهـ (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة صـ ١٨٢)

سورة الإخلاص تعدل في الأجر ثلث القرآن:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

" أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن " قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: " قل هو الله أحد " تعدل ثلث القرآن ".

قال النيسابوري-رحمه الله - في تفسير سورة الإخلاص:

"وردت الأخبار الكثيرة بفضل سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، فاستنبط العلماء لذلك وجهاً مناسباً: وهو أن القرآن مع غزارة فوائده اشتمل على ثلاثة معان فقط هي: معرفة ذات الله تعالى، ومعرفة أفعاله وسننه مع عباده. ولما تضمنت سورة الإخلاص أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس- أي التوحيد- وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن". (رغائب الفرقان للنيسابوري ٢٠١/٣٠ على هامش تفسير الطبري)

ونقل ابن كثير- رحمه الله- في تفسير سورة الإخلاص: ٤ /٦٠٩ عن عكرمة- رحمه الله- أنه قال: " لما قالت اليهود نحن نعبد عزيز ابن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقال المشركون نحن نعبد الأوثان، أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحدٍ في الإثبات[1] إلا على الله ﷻ لأنه الكامل في جميع صفاته وافعاله ". أهـ

[1]- لعل مراده أن هذا اللفظ لا يطلق مقصوداً بها معيناً، وإلا فقد ورد مقصوداً به العموم في **قوله تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} (التوبة:٦)**

وقد مر بنا قول بعض الشعراء حيث قال:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد؟!

وفـي كـل شيء له آيـة تـدل على أنه الواحـد

والله تعالى يحب من يحب هذه السورة ويقرأ بها:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة- رضى الله عنها-

"أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال:" سلوه لأي شيء يصنع ذلك " فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن اقرأ بها، فقال النبي ﷺ: " أخبروه أن الله يحبه ".

- *وأخرج الترمذي عن أنس ﷺ:* أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال النبي ﷺ :" إن حبها أدخلك الجنة ". (صححه الألباني في المشكاة: ٢١٣٠)

ومن قرأها عشر مرات بُنِيَ له بيت في الجنة:

-فقد أخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ :

" من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، بَنَى اللهُ له بيتًا في الجنة ".

(الصحيحة: ٥٨٩) (صحيح الجامع: ٦٤٧٢)

٢١ - التوحيد سبب للفوز بشفاعة النبي ﷺ:

- *ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ: قال :* لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ".

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: "قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال النبي ﷺ لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال " لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه ".

٢٢ - التوحيد يمنع من دخول النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة:٧٢)

فمن عمل بشروط لا إله إلا الله وكان على تقوى وورع واستقامة، ثم مات على هذا فقد حرمه الله على النار.

وأخرج الإمام مسلم عن الصنابحي أنه قال: **دخلت على عبادة بن الصامت ﷺ وهو في الموت، فبكيت فقال: مهلاً[١] لم تبكى ؟ فو الله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأ نفعنك. ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خيرٌ إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي[٢]. سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار".**

وأخرج البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يا معاذ بن جبل ! هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً".**

فقد أخرج الإمام مسلم عن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:
"لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؛ فيدخل النار، أو تطعمه".

- وفي "الصحيحين" من حديث عتبان بن مالك ﷺ قال:
"قام النبي ﷺ يصلّي، فقال: "أين مالك بن الدخشم؟ فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبي ﷺ: لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: "لا إله إلا الله" يريد بذلك وجه الله؟ وإن الله قد حرَّم على النار من قال: "لا إله إلا الله" يبتغي بذلك وجه الله".

- وفي رواية هي أيضاً في "الصحيحين": **" لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: " لا إله إلا الله" يبتغي بها وجه الله؛ إلا حرَّم الله عليه النار".**

---
[١] - مهلاً: أي: أنظرني.
[٢] - أحيط بنفسي: أي قربت من الموت، وأيست من النجاة والحياة.

- ***وأخرج ابن حبان بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه قال:***

"كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فأصاب الناس مخمصة شديدة، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهرهم. فقال عمر: يا رسول الله، فكيف بنا إذا لقينا عدونا جياعاً رَجَّالَة؟ ولكن إذا رأيت يا رسول الله أن تدعو الناس ببقية أزودتهم؛ فجاؤوا به، يجيء الرجل بالحفنة من الطعام وفوق ذلك، وكان أعلاهم الذي جاء بالصاع من التمر، فجمعه على نِطَعٍ، ثم دعا الله بما شاء الله أن يدعو، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاءٌ إلا مملوء وبقي مِثْلُه، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله، وأشهد عند الله لا يلقاه عبدٌ مؤمن بهما إلا حجبتاه عن النار يوم القيامة".

- ***وأخرج النسائي في "عمل اليوم والليلة" عن زيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:***

"مَن دخل القبر بلا إله إلا الله خلَّصَهُ الله من النار".

- ***وعند مسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله؛ حرَّم الله عليه النار".

- ***وفي قول النبي ﷺ:*** **"حرَّم الله عليه النار"** فالمقصود: مَن قالها وجاء بالطاعات، واجتنب المنهيات، وداوم على هذا، إلا أن يلقى الله، ونؤكد على هذا الأصل رداً على المُرجئة الذين يقولون: "إن الإيمان: "قول باللسان واعتقاد بالجنان، ولا يدخلون العمل في مسمى الإيمان، استناداً لمثل هذه الأحاديث، لكن الصحيح أن الإيمان: اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان ونقول هذا حتى لا يتخذ الناس مثل هذه الأحاديث زريعة للقعود عن الطاعة، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ومما يؤكد هذا الأصل الأصيل أن بعض عصاة الموحدين سيدخلون النار بذنوب ارتكبوها ولطاعات تركوها، مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله".

- ***يقول المناوي -رحمه الله- كما في "فيض القدير" (٦/١٥٩):***

" قد يتخذ نحو هذا الحديث البطلة والإباحية ذريعة إلى طرح التكاليف ورفع الأحكام وإبطال الأعمال، ظانين أن الشهادة كافية في الخلاص، وذا يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود، ويوجب كون الترغيب في الطاعة، والتحذير من المعصية، غير متضمن طائلاً، وبالأصل باطلاً، بل تقيَض كون الانخلاع من ربقة التكليف والانسلال عن قيد الشريعة، والخروج عن الضبط والولوج في الخيط، وترك الناس سدى من غير مانع ولا دافع، وذلك مُفضٍ إلى خراب الدنيا والآخرة". اهـ

٢٣ - التوحيد يمنع الخلود في النار:

فمن مات على التوحيد وكانت له ذنوب تدخله النار، فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه – أي أدخله النار بذنوبه – ثم يخرج منها ويدخل الجنة يوماً من الأيام.

ففي الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير".

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ".

-وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن جابر ﷺ قال: رسول الله ﷺ :

" يُعذَّب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً[١]. ثم تدركهم الرحمة، فيخرجُون ويُطرحُون على أبواب الجنة، قال: فترش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل[٢] ثم يدخلون الجنة".

وذكر الترمذي في سننه: ٥/٢٤ عن الزهري- رحمه الله- أنه سُئل عن قول النبي ﷺ: **" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة "** فقال: إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، ***ثم قال الترمذي-رحمه الله-:*** ووجه هذا الحديث عن بعض أهل العلم: أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار ". أهـ

---

[١]- **الحمم**: جمع حُمَمَة وهي الفحمة.

[٢]- ينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل. **المراد**: أنهم سرعان ما تعود إليهم أبدانهم وأجسامهم بعد إحراق النار لها، وذلك **مثل ما** يجئ به السيل من غثاء ونحوه فيستقر على **الشطوط** فينبت في يوم وليلة.

والنبي ﷺ يشفع لمن دخل النار من أهل التوحيد، فيقبل الله- تعالى- شفاعته فيهم، فيخرج من النار خلق كثير.

ففي حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في هذا الحديث:"**.... ثم أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذَن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخرُّ لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقول: انطلق فمَن كان في قلبه حبة من بُرَّةٍ [1] أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرِجْه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار فأنطلقُ فأفعلُ.**

قال: ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي:

يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله".

١- البرة: حبة القمح أو الشعير.

٢٤ - التوحيد سبيل لدخول الجنة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبادة ابن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".** ***وفي رواية:*** **"من أي أبواب الجنة الثمانية شاء".**

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ قال:

"أَتَى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: مَن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجَنَّة، ومَن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار".

- *وقال معاذ بن جبل ﷺ:*"يحبس الناس يوم القيامة في صعيد واحد، فينادى: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، فقال له أبو عفيف: مَن المتقون؟ قال: قومٌ اتقوا الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة فيمرُّون إلى الجَنَّة".

(شرح أصول الاعتقاد للالكائي: حديث رقم ٨٦٤)

- وأخرج الإمام أحمد عن موسى بن طلحة قال: حدثني أبو أيوب:

"أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله - أو يا محمد- أخبرني بما يُقرِّبني من الجَنَّة، وما يباعدني من النار؟ قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دَعْ النَّاقة".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أتاني جبريل، فبشرني أنّه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال وإن زنى وأن سرق".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أتاني جبريل، فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا جبريل! وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر". (الصحيحة :٨٢٦) (صحيح الجامع :٦٦)

-وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا أدخله الله الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق. قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق. وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر ".

-وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن حبان عن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويتقي الكبائر، فإن له الجنة، قالوا: ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، وفرار يوم الزحف ".

(صحيح الجامع: ٦١٨٥)

-وأخرج البزار عن ابن عمر – رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ". (صحيح الجامع: ٦٣١٨) (الصحيحة: ٢٣٤٤)

-وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

" من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة " (صحيح الجامع :٦٤٧٩)

-وأخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

" من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ".

-وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

" من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ".

وأخرج أبو يعلى عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لي:" أخرج فنادِ في الناس: من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة". (صحيح الجامع:٢٢٩) (الصحيحة :١١٣٥)

وأخرج النسائي عن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" بشر الناس أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وجبت له الجنة ". (صحيح الجامع: ٢٨٢٤) (الصحيحة ٧١٢)

وأخرج الإمام أحمد والبزار من حديث عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" هل تدرون أول مَن يدخل الجَنَّة من خلق الله ﷻ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الفقراء المهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله ﷻ لمَن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيُّوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلّم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عباداً يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً وتُسَدُّ بهم الثغور، وتُتَّقَى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣١٨٣)

ولله در القائل:

قفْ بالخضوع ونادِ يا الله ... إنَّ الكريمَ يجيبُ منْ ناداهُ

واطلبْ بطاعته رضاه فلم يزلْ ... بالجودِ يرضى طالبينَ رضاهُ

واسأله مغفرة وفضلاً إِنَّهُ ... مبسوطتان لسائليه يداهُ

واقصدهُ منقطعاً إليهِ فكلُّ منْ ... يرجوه منقطعًا إليه كفاهُ

شملتْ لطائفهُ الخلائقَ كلَها ... ما للخلائق كافل إلا هو

فعزيزُها وذليلُها وغنيُها ... وفقيرُها لا يرتجُون سواه

ملكٌ تدينُ لهُ الملوكُ ويَلْتجي ... يوم القيامة فقرهم بغناه

هوَ أولٌ هوَ آخرٌ هوَ ظاهرٌ ... هو باطن ليس العيون تراه

حجبتهُ أسرارُ الجلالِ فدونهُ ... تقف الظنون وتخرس الأفواه

صمدٌ بلا كفءٍ ولا كيفية ... أبداً فما النظراء والأشباه

شهدتْ غرائبُ صنعهِ بوجودهِ ... لولاه ما شهدت به لولاه

وإليهِ أذعنتِ العقولُ فآمنتْ ... بالغيب تؤثر حبها إياه

سبحانَ منْ عنتِ الوجوهُ لوجههِ ... وله سجود أوجه وجباه

طوعاً وكرهاً خاضعينَ لعزهِ ... وله عليها الطوع والإكراه

سلْ عنهُ ذراتِ الوجودِ فإنها ... تدعوه معبوداً لها رباه

ما كانَ يعبدُ منْ إلهٍ غيرهُ ... والكل تحت القهر وهو إله

أبدي بمحكمِ صنعهِ منْ نطفةٍ بشراً سوياً جل من سواه

وبنى السمواتِ العلا والعرشِ والكرسي ثم علا عليه علاه

ودحا بساطَ الأرضِ فرشاً مثبتاً بالراسيات وبالنبات حلاه

تجري الرياحُ على اختلافِ هبوبها عن إذنه والفلك والأمواه

ربٌّ رحيمٌ مشفقٌ متعطفٌ لا ينتهي بالحصر ما أعطاه

كمْ نعمةٍ أولىَ وكمْ منْ كربة أجلى وكم من مبتلى عافاه

ولحلمهِ سبحانهُ يعصي فلمْ يعجلْ على عبدٍ عصى مولاهُ

يأتيهِ معتذراً فقبلُ عذرهُ كرماً ويغفرُ عمدهُ وخطاهُ

يا ذا الجلالِ وذا الجمالِ وذا البقا يا منعماً عمَّ الأنامَ نداه

يا منْ هوَ المعروفُ بالمعروفِ يا غوثاهُ يا مولاهُ يا مولاهُ

أنا مذنب أشكو ذنوبي فامحها عنى وبلغني الذي أهواه

وأذقني برد رضاك عنى فلم يخب من كان عينك بالرضا ترعاه

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك